

مهرجان دموي للفقراء

ضيق من حول عينيه حصارا
لم يضيقه جنود الغزو والطفيان
هذا وطن يمتد حتى يسع الدنيا
ويضحى حجرا منهذما وسط دمشق
صارت الدنيا له عائلة باكية تجمع احزانا
وتغدو وجه طفل خائف وسط دمشق
ما الذي يفعله حين دمشق اتسعت ..
وانهدمت .. واستنجدت؟
ان في الارض امانا من سيات الجند والتجار
والخوف

وفي الارض قبور تسع الموتى
صحارى من زمام الناس تؤوي الخائفين
ان في الارض امانا من جنود الغزو
فيها كل ما يستمر من عاصفة
لكن
ما الذي يحميه من عيني دمشق
ما الذي يفعله الآن اذا راودها الغزو
اذا اخجلها السبي
وعبر الخوف شاعت ان تداري الخزي
ان تطلب من يسمع منها نهدة القهر
واوجاع النداء؟
ما الذي يشفيه اما انتابه التوق
الى العطر الذي يصدح فجرا
ياسميننا من دمشق؟
ما الذي يؤويه اما طارده النار
اما حل فيه الوجع الطامع من جرح دمشق؟
ما الذي يبعد عن احلامه الآن عيون الشهداء
اللابسين الموت فوق اللحم من اجل
دمشق؟
والذين انتثروا
لم يعرفوا الزاد بدنياهم
ولا قبر على درب دمشق
ما الذي يخفيه من عيني دمشق؟
حينما تصبح عيناها ضميرين وجرحين من
الاعماق
لا يشفيهما الخمر ولا العشق
ولا زحمة تجار دمشق
صاح جرح لا يداوي:
أيهذا الوطن اسمعني
فقد ناديت عمري فيك لم اسمع سوى
رجع الفداء
سوف اختار على ارضك موتا
لم يكن يوما في ضمير الانبياء

« يا بني ا
اذا رأيت حربا جبانها يجرو ، وشجاعها يجبن ، وخسيس
المحتد يتحكم فيها بكرم المحتد ، ففر منها وانا الى رابسة
وترقب الاحداث تر ان في الامر خيانة »
قس بن ساعده

حين دقت بابه الحرب ، وكانت ترتدي اقنعة
من وطنه
فتح الباب وماشاها
فجسم الوطن المرجو يدمى خارج البيت
ووجه الشجر المورق يصفر على عينيه
والقلب المداري ألم الضربة يحوي قطعة من
كفته

حمل الارض على كتفيه زادا
أجل الاوجاع من فقر
وحتى ظهره المحني بالظلم استقام
كان قد ضيع في الفقر الحياة المرة
امتدت بهوتين
فماشى الحرب لم يوم لشيء بالوداع
كان يدري ان هذي الارض
مهما وجدت من يملك الاطيان فيها
من يبيع التراب منها
لا تلاقي غيره في الساح اذ يشتد في الارض الصراع
تعيه في السلم يا ابن زبيبة .
وعند اصطدام الخيل يا ابن الاكارم (1)
أقبلت تطلب الحرب فماشاها
تعري الحلم في كفيه اضحى بندقية
بسمه واحدة تفضح ما يعرف
ان الجوع في البيت
وفي زنديه آثار القيود

عبر الغربة حتى موته
كان الشباب المهملون
يوقفون اللغو والخوف
ويمضون الى الموت
كما تعبر ليل المطر الدامس ضربات الرعود
لم يلاقوا عمرهم داخل هذا الوطن المحبوك
سجنا
فتنادوا ليلاقوا موتهم عند الحدود
ضاقت الارض التي يلبسها في الفقر ثوبا
وعزاء
ودمشق اتسعت حتى احتوت كل البكاء
ما الذي يفعله حين دمشق اتسعت؟

صاح فقر :

البلاد ابتدأت من دمها

والمهرجان اشتعلت فيه دماء الشهداء

يا بلادي

كلما مرت على أرضك نعمى نسيتنا

نسيت رؤية قهر الفقراء

انهم قد اوصلوا جثة من مات الى القبر زغاريد

لكي لا تلتقي عينك فيهم بالبكاء

فبكت فيهم دمشق

وتعالت في الضحايا كلمات الاغنية !

عادة يبندىء الموت مع الفجر

وفي وجه دمشق ابتداء الموت مع الزهر

وغنى في دماء الياسمين العذب عصفور

الصباح

عادة يندفع الموت الى الاحلام والناس

وفي حرب دمشق اندفع الناس الى

الموت

وفي وجه دمشق اندفعت عين الى

الدمع

وفي صبح دمشق اندفع النور الى

الشمس

وفي الموت تعالت خفقات الامنية

ان هذي امة تحترف الضوء

وهذا عاشق يحترف النار

وهذي القرية العمياء اضحت وطنا

مشتبكا في دمه

يزداد قربي حين تزداد الجراح

تنتهي الحرب ولا يرجع للبيت

مضى في المطر الراحل ..

في الريح التي تنقله مثل الضباب

تنتهي الحرب ولا يرجع للبيت

ولكن يرجع التجار للسوق

كما يرجع في الصيف الذباب

مرت الحرب فأغوته وكانت ترتدي سحنة هذا

الوطن الجارح

اغوته والفته الى النار

التي تبدأ بين الجوع واليتم وايساب

الذئاب

ايهذا الوطن اسمعنا

فلم يبق لنا الا النداء

نحن ابصرناك في اول ضوء العمر

ودعناك في آخر ضوء العمر

ما اعتدنا سوى وجهك في العرس وفي

اليتم

ولم نلق سوى فرصتنا ان نتساوى

فيك بالناس

فنغدو شهداء

نحن عدنا من غمار الحرب

خلفنا شبابا تأكل الطير بقايا لحمهم في

القفر

عدنا لزوايا الفقر والنسيان

نحيا في اراضيك يتامى غرباء

اننا في وسط الحرب اكتشفنا لعبة القدر ،

ولم نرجع

لكي لا تصل المذبح وحدك

اننا نزدحم الان ونفديك لكي تسمع صوت اليتيم

ان ناداك في الفقر يتامانا

وهذي فرصة العمر لنا

انا نؤاخيك على مذبح جلاديك

مرنا ما تشاء

فلتكن ما كانت الحرب

طريقا دمويا للخيانة

ستارا دمويا لدموع الفقراء

فلتكن اغنية دامية عند وداع القدس

او بابا يرد الفدعنا

فلتكن قيرا لنا او لفلسطين

ولكن

لن تكون الحرب ان تمضي للمذبح وحدك

انهم ساقوك للحرب

ارادوا ان يخلونا على ارضفة المحنة

نرثيك اذا ما مت

او نبيك ان تهت

ولا تقوى اذا ما انفجر القهر بعينيك

بأن نمسح منه ادمعك

أرخصوك اليوم في السوق ولكن نحن نفلتك

بحرب

أفردوك اليوم في السوق ولكن

ان قهر الفقر يأتي

وحده يركض بين الموت والموت

وبين المطلقة العمياء والجرح الذي تفتحه

ثم يعني في الدماء

وحده يبسم للموت

فموت العاشق الولهان في عشق حبيب القلب

عربان الوفاء

كل جيل عبر المحنة بين الموت والموت

لكي يثبت للارض الولاء

تلك كانت محنة العمر التي لا تنتهي للفقراء

يدبلون العمر في الجوع وفي النسيان .. لكن

بقتة في محنة الحرب يجيئون كنجل

لسعة ثم يموتون

ويبقى في خلايا العسل اليعسوب

والطحلب في النهر

وفي المقهى يظل المخبرون

دمشق